التطور الدلالي: أسبابه وعوامله

إنّ التطور والتغير سُنّة وظاهرة شائعة في كل اللغات، وهذا التطور يكون في جوانب متعددة لاسيما في الجانب الدلالي الذي يتغير باستمرار من عهد إلى آخر مع تطور الانسان وتغيره من الناحية العقدية والفكرية والحضارية والسياسية والاجتماعية والتأريخية واللغوية.

فكل هذه الجوانب تتغير، وتتغير معها المفردات اللغوية ودلالاتها واستعمالاتها، وقد أشار الباحثون المحْدثون إلى هذه التغيرات وبيّنوا أسبابها، والتي تتوزع–عمومًا– على محْورين أساسيين، هما:

أولاً/ السبب اللغوي والاستعمالي: والذي يقف ورآء اجراء وحدوث تغيرات كبيرة في كيان اللغة ومضامينها، وبالأخص في كيفية استعمال المفردات وتدوالها.

وهذا ما يكون في حالة استعمال المفردات بشكل خاطيء وانتشار هذا الخطأ في الاستعمال بين الناس الى أن تتوسع دائرة الاستعمال وتكون المفردة مندرجة ضمن الاخطاء الشائعة من حيث النطق ومن حيث المضمون الدلالي.

فعلى سبيل المثال: (القلب المكاني) الذي يحدث لبعض الأصوات للدلالة على مفهوم معين، يؤدي الى خطأ استعمال هذه المفردة والاستمرار في هذا الخطأ مع حدوث تغير في الجانب الدلالي، كما في مفردة(جَذَبَ) التي تستعمل عند بعض القبائل بالنّطق المخالف المقلوب وهو(جَبَذَ) بالدلالة نفسها، وكلمات أخرى استعملت استعمالًا مخالفًا لأصلها لكنّها دلّتْ على مفهومها، وأصبحت هذه الأخطاء من التغيرات والتطورات التي طرأت على المفردات من حيث الاستعمال النّطقي أو الاستعمال الدلالي.

ثانيًا/ السبب التأريخي والسياسي والاجتماعي: والذي يقف وقوفًا أساسيًا في حدوث تغيرات كبيرة في الجانب الدلالي، ولاسيما في حالة الانتقال من عهد تأريخي وسياسي إلى عهدٍ تأريخي سياسيٍ آخر؛ لأنّ التغيرات والأحداث التأريخية والسياسية تؤثر في تغير المجتمع وشرائحه مما يؤدي الى ايجاد مفردات جديدة وبدلالات جديدة.

فعلى سبيل المثال: في العهود الملكية كانت هناك مفردات (سعادة السمو) و(سعادة الملك) و(العائلة المالكة) و.... وكانت تدلّ على مفاهيم معينة، تغيرت تلك المفاهيم والمصطلحات وتغيرت مفرداتها المستعملة في العهود والعصور اللاحقة كعهد الجمهوري والثوري والاشتراكي في كافة انحاء العالم، فحلَّتْ محلَّ هذه المفردات مفردة الديموقراطية، الحرية، الرئيس، البرلمان، العدالة، ..... .

وكذلك نجد هذا التغير في انتقال الناس من العصر الجاهلي إلى العصر الاسلامي، وذلك باستعمال مفردات لدلالات غير دينية كمفردة(**الربّ**) بمعنى المكان المرتفع، و(**الزكاة**) بمعنى الزيادة والنمو، و(**الدعاء**) بمعنى النّداء والدعاء إلى مأدومة الطعام، و(**الصلاة**) بمعنى التقرب.

ثمّ تغيرت دلالات هذه المفردات بمجيء الاسلام واكتسبت دلالات أخرى؛ لأنّها انتقلت من عهدٍ تأريخي وسياسي إلى عهدٍ آخر، فاحتوتْ هذه الكلمات على دلالات اسلامية مع احتفاظها بهيئاتها الشكلية فأصبحت مفردة(**الربّ**) ذات مغزى ومعنى شرعي خاص، وكذلك **الزكاة والدعاء والصلاة** وغيرها من المفردات التي تغيرت وتطورت دلالاتها نتيجة هذا الحدث التأريخي الكبير.

وكل هذه الأحداث التاريخية والسياسية والشرعية في كل الأوقات تُؤثر في تغير المؤسسة الإجتماعية بكل ما فيها من التعاملات والعلاقات الاجتماعية ولاسيما النّفسية والفكرية والمباديء العُرفية والعادات والتقاليد، فالمؤسسة الاجتماعية تبقى خاضعة للتأثيرات التأريخية والسياسية.

وهذه التغيرات والتطورات مهما كانت أسبابها وعواملها فهي موجودة وقائمة في كل عصرٍ وزمانٍ، فهي مستمرة مع استمرار الحياة البشرية؛ لأنّ الانسان كائن اجتماعي يتطور ويتغير بل يتأثر بمحيطه بكل ما فيه، وينعكس هذا التأثير في لغته.

ويمكن هنا أن نشير إلى بعض مظاهر التطور الدلالي، وهي:

1- **تخصيص الدلالة**: مثل كلمة(الحج)، إذ كانت تعني القَصْد، فكان يقال: حَجَّ إلينا فلان، أي قَدِمَ، وحججتُ فلانًا، أي: قصدته، ثم استقر استعمالها في القصد إلى مكة للنُّسك والحج إلى البيت خاصة، وكذلك كلمة(الصوم)... .

2- **تعميم الدلالة:** مثل كلمة(البأس) التي كانت تطلق على الحرب خاصة، ثم أصبحت تطلق على كل شدة،

وكذلك كلمة(السفير) التي كانت تعني الرسول والمصلح بين القوم، فصارت الكلمة اليوم تعني: الممثل السياسي لدولة في عاصمة دولة أخرى.

3- **رقي الدلالة:** وهو تغير معنى الكلمة من معنى عادي ضعيف إلى معنى قوي شريف، مثل كلمة(رسول) التي كانت تعني المرسَل، ثمّ شرُف معناها لتدل على رسول من رُسُلِ الله، وكذلك كلمة(السُّفْرة) كانت تعني بعض الطعام الذي يحْمُلُه المسافر، ثم أصبحت تدلّ اليوم على المائدة وما عليها من أصناف الطعام.

4-انحطاط الدلالة: وهو تغير معنى الكلمة من معنى قوي ذات هيبة إلى معنى ضعيف فاقد للهيبة، مثل الكلمة المركبة(طول اليد) التي كانت تعني الكرم والسخاء، فالنبي(عليه الصلاة والسلام) قال لأزواجه أسْرعكنّ بي لحاقًا أطولكنَّ يدًا، وهي اليوم تطلق على السرقة أو السارق، كذلك كلمة(الكرسي) استعملها القرآن بمعنى(العرش) في قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾البقرة:255، غير أن هذه الكلمة أصبحت الآن تطلق على الكرسي العادي المعروف.